

بين الملكوت والجحيم ومحبة الله

إميل غبريال اليسوعي

مقدمة

تناقلت وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعيّ في بداية السنة الجارية نصّاً منسوباً إلى البابا فرنسيس بعنوان "لا وجود لجهنّم، وأدم وحواء مجرد أسطورة"¹، مكتوب في النصّ عن محبة الله الغافرة وغير المتناهية، وأنّ الله ليس ديّاناً، و جهنّم هي صورة أدبيّة، وأنّ جميع الأرواح في النهاية ستتحد بالله، وهناك العديد من الأفكار في هذا النصّ ليس هنا مجال ذكرها.. وتناقل العديد من الشبيبة الخبر (وعملوا له "شير") وفرحوا به كثيراً وكأنّ ديناً جديداً ظهر.. لكنّ

¹ اليوم أخبار اليوم

<http://www.alyaoum24.com/>

<http://www.alyaoum24.com/akhbar/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D8%A7-%D9%81%D8%B1%D8%A7%D9%86%D8%B3%D9%88%D8%A7---%D9%84%D8%A7-%D9%88%D8%AC%D9%88%D8%AF-%D9%84%D8%AC%D9%87%D9%86%D9%85-%D9%88%D8%A2%D8%AF%D9%85-%D9%88%D8%AD%D9%88%D8%A7%D8%A1-%D9%85%D8%AC%D8%B1%D8%AF-%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%B7%D9%8A%D8%B1/6585#.UzFSvfmSxaQ>

و <http://almesryoon.com>

<http://almesryoon.com/%D8%B9%D8%B1%D8%A8-%D9%88-%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85/349899-%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D9%83%D8%A7%D9%86-%D9%84%D8%A7-%D9%88%D8%AC%D9%88%D8%AF-%D9%84%D8%AC%D9%87%D9%86%D9%85-%D9%88%D8%A2%D8%AF%D9%85-%D9%88%D8%AD%D9%88%D8%A7%D8%A1-%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%B7%D9%8A%D8%B1>، ومواقع أخرى.

هناك فئة أخرى من الشبيبة رفضته تماماً ورأت فيه تشويهاً لصورة الله، وأن فكرة الأسطورة أو الصورة الأدبية هي تشويه للمسيحية والله.

أولاً: لمحة عن ردود الفعل

لسنا هنا في صدد الكلام على صحة نسبة الخبر إلى البابا، بل ما يهمننا هو عرض أهم ما انتهيتُ إليه من متابعتي الخبرَ وآراء الشبيبة:

- أنه هناك مفهوم خاطئ أو صورة خاطئة عن الله، أنه مُراقِب لأعمالنا، وأنه ديان بصورة سلبية، كأنه يراقبنا ويسجّل أعمالنا كي يحاسبنا عليها..
- كذلك نظرتنا إلى محبة الله أيضاً مشوّهة، وأننا نريدها محبةً جبارة تُرغمنا على أعمالنا وما يجب أن نقوم به لئلا نسقط في الخطيئة، وفي تلك المحبة نرفض أعظم ما خلق الله فينا "الحرية".
- وفي النصّ السابق ذكره هذا وجد الشبيبة ضالّتهم، فهناك الله المحبّ بلا حدود، وتهربوا من مسؤوليّة الحرية، فنفعّل ما نريد والله يغفر ويسامح، فلا نكون مسؤولين عن أعمالنا؛ "إنّ الله غفور رحيم"...

هناك جدلية كبيرة بين محبة الله والحرية في اختيارنا. هل الله محبة؟؟ هل الله يحبّ الخاطئ؟؟ هل هناك جهنم؟؟ وما معناها؟؟ هل الله يضع في جهنم مَنْ يخالف وصاياه؟؟ العديد من الأسئلة التي نفكّر فيها بشكل مباشر أو غير مباشر. لقد تكلم الكتاب المقدّس كثيراً على محبة الله وعلى الملكوت وعلى جهنم، فكيف نستطيع فهم هذه الأمور والعلاقة بينها؟

ثانياً: إضاءات على ردود الفعل

لا أدعي أنني سأجيب عن ذلك في تأملي هذا، لكنني سأحاول أن أقدم بعض الإضاءات التي تساعدنا على التفكير في هذه الأسئلة.

إنطلاقاً من قصة آدم وحوّاء (سواء حقيقة أو رمز)، ماذا تعني؟ خلق الله الإنسان على صورته ومثاله، وجلّ ما خلق فيه "الحرية": إفعّل ما تريد (من كلّ

الأشجار تأكل) لكنك في حرّيتك مسؤول عن قراراتك (إذا أكلت من تلك الشجرة موتاً تموت) والموت هنا هو:

- الانفصال عن العلاقة بالله (الخروج من الجنة)،
 - والانفصال عن العلاقة بالطبيعة والكون (ستنتج الأرض شوكاً..)،
 - والتوتر في العلاقة بين الإنسان وذاته، لم يعد يقبل ذاته وطبيعته (الشعور بالغرّي)،
 - والتوتر في العلاقة بالإنسان الآخر، كيف كانت علاقته بحواء التي كانت جزءاً منه. أضحي بعد الخطيئة يقول: "المرأة التي أعطيتني هي قالت لي".
- وهذا ما كان حينما اختار آدم قراره، احترم الله هذا القرار لأتّه خلق آدم حرّاً، ولم يُبدِ آدم ليقول إنساناً آخر يعمل بحسب ما يريد الله. ومعنى أنّ الله محبّة ليس أنّه يُرغم الإنسان على اتّخاذ قرارات معيّنة، بل أنّه يرشد الإنسان إلى الطريق الصحيح، ويرافقه في قراراته، وأتّه يظلّ يدعو للعودة إلى مصدر سعادته وفرحه.

إذن دعوة الله هي الحبّ، وملكوته هو المحبّة. والإنسان أمام خيارين، فإمّا يقول "نعم" ويقبل فيعيش المحبّة (الملكوت)، أو يرفض ويقول "لا" فيعيش ما نسمّيه الوحدة (الجحيم). لنتوقّف على مَثَلٍ من الإنجيل يضيء لنا أكثر الموضوع.

ثالثاً: مَثَلُ لِعَازِرِ وَالغَنِيِّ

بالنظر إلى مَثَلِ "لعازر والغني" (لو16: 19-31) "كان لعازر مطروحاً عند بابهِ (الغنيّ) تكسوه القروح.. وكان يشتهي أن يشبع من الفتات المتساقط من مائدة الغنيّ"، وكانت الطبيعة أحنّ عليه من أخيه الإنسان (كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه) في حين أنّ الغنيّ لا يبالي بالمطروح أمام بابهِ.

ونحن جميعاً مَثَلُ الغنيّ، هناك كثيرون مطروحون أمام أبوابنا، كلهم بحاجة إلى محبّتنا، وأوّل هؤلاء هو الله نفسه، فهو مُلَقَى أمام بابنا يشحذ الحبّ

والعلاقة بنا، ونحن أحرار في القبول أو الرفض، لكنّ قرارنا هو الذي سيحدّد ما نريد عيشه.

حينما اختار الغنيّ أن يظلّ منعزلاً وحيداً، بعد موت جسده أيضاً بقي وحيداً، أمّا لعازر المسكين والمحتاج إلى الحبّ والعلاقة بالأخر فوجد تلك العلاقة فكان في حضن إبراهيم. قد يظنّ بعضهم أنّ جهنّم هي لقاء أو شركة الشياطين أو الأشرار، لكنّ الشرير في الواقع يبقى وحيداً منعزلاً لأنّه يرفض العلاقة والحبّ.

يقول إبراهيم "بيننا وبينكم هوة عظيمة ثابتة"؛ هذه الهوة نحن من صنعها باختيارنا طريقاً مخالفاً، وحقيقةً لا يستطيع أحدٌ من البشر العاديين عبورها، لكنّ المسيح وحده نزل إلى الجحيم من أجل محبّته الإنسان، ولكن حتّى في نزوله لم يقتحم حياة هؤلاء بل ظلّ خارج الباب يقرعه، وفي انتظار أن يفتحوا له ليساعدهم على الرجوع إلى حبّ الله.

خاتمة

يقول القديس إغناطيوس مؤسس الرهبانيّة اليسوعيّة في كتابه الرياضات الروحيّة: "خُلق الإنسان ليُسبّح الله ربّنا ويكرّمه ويخدمه، وبهذا يخلّص نفسه. وأمّا سائر الأشياء على وجه الأرض فقد خُلقت لأجل الإنسان، لتساعده على تحقيق الغاية التي لأجلها خُلق". إنّ الغاية التي خُلق الإنسان لأجلها هي تسبّح الله وخدمته، وفي تحقيق هذه الغاية يخلّص الإنسان، أي يجد سعادته وفرحه، وسائر المخلوقات خلقها الله لأجل الإنسان ومساعدته لتحقيق هذه الغاية. لكنّ سائر المخلوقات ليس لديها الحرّيّة في قبول أو رفض تحقيق غايتها، فهي مطبوعة على خدمة الإنسان في تحقيق غايتها. أمّا الإنسان فهو مخلوق حرّ، يستطيع أن يقبل أو يرفض الغاية التي من أجلها خُلق. والسؤال الذي أطره هو: هل هناك إنسان يسعى بكامل حرّيّته إلى البعد عن سعادته وفرحه؟؟ هل هناك إنسان بملء إرادته يختار البعد عن إلهٍ يحبّه كلّ هذا الحبّ حتّى إنّ نفسه لأجله؟؟ أم هناك عوامل أخرى تشوّه رؤيتنا إلى الحقيقة وسعادتنا الحقيقيّة؟؟ وهل الله الكلّيّ الحبّ لا يستطيع اختراق هذه العوامل وإظهار الصورة الحقيقيّة؟؟ لا أعرف

الإجابة لكنني أثق بحبّ الله غير المحدود، ورغبته في كشف ذاته لنا بكلّ الطرق وأعظمها تجسّده بيننا.

لقد خلقنا الله أحراراً، وهو يدعونا إلى الحبّ. ونحن من نختر، ومسؤولون عن اختيارنا أن نحبّ (نعيش الملكوت) أو نظلّ منعزلين وحدنا (نعيش الجحيم).

وما زال إله الحبّ يقرع أبوابنا... ونحن أحرار وأصحاب القرار في اختياره أو رفضه.